كتابات علماء الحلّة

عن المختار الثقفيّ حتَّى نهاية القرن التاسع الهجري

عباس ميرزائيّ

ترجمة يزن كامل علي

كليّة اللاهوت والأديان في جامعة الشهيد بهشتي-طهران

a_mirzaei@sbu.ac.ir

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/ muhaqqiq.v10i26.373

الملخص

يَختصُّ هذا البحثُ بما كُتِبَ عن المختار الثقفيّ من القرن الثاني حتى نهاية القرن التاسع الهجري، أيّ حتى أُفُولِ مدرسة الحلّة، إذ يُمكننا تَتَبُّع ظهور ثلاثة عشر كتابًا متعدّدة الاتجاهات بهمّة اثني عشر عالمًا إماميًّا، والسؤال المطروح: ما الشوط الذي قطعه التأليف في المختار على مدى التاريخ الشيعيّ حتى أفول مدرسة الحلّة؟ على ما يبدو أنّ اهتمام الشيعة في القرون الأولى بهذا الموضوع كان تاريخيًّا خصوصًا في الكوفة (القرن الثاني)، وهذا ما دفع مؤرّخي الشيعة إلى الكتابة عنه، لكن العلماء جنحوا إلى بحثه كلاميًّا أعم من النقل والعقل ابتداءً من مدرستي قم وبغداد (القرنين الرابع والخامس) فصاعدًا ولا سيما مدرسة الحلّة في (القرنين السابع والثامن)، وبعد تقصّي مصادر الفهارس والرجال توصّلنا إلى أنّ كتابة بحثٍ المختار هو أمرٌ مذهبيٌّ وعقائديٌّ لزم به الدفاع عنه وإماطة ما أثير حوله من شبهات.

الكلمات المفتاحيّة:

تاريخ الفكر الشيعيّ، الفهارس والرجال، مدرسة الحلّة، المختار الثقفيّ.

The Writings of Hilla Scholars on al-Mukhtar al-Thaqafi Up to the Ninth Century AH

Abbas Mirzaei
Faculty of Theology and Religions
Shahid Beheshti University – Tehran
Translated by: Yazan Kamel Ali
a_mirzaei@sbu.ac.ir

Abstract

This study focuses on the body of literature produced on al-Mukhtar al-Thaqafi from the second century AH up to the end of the ninth century AH, marking the decline of the Hilla scholarly school. Throughout this period, we can trace the emergence of thirteen works of varying orientations authored by twelve Imami scholars. The central question addressed here is: How far did the scholarly writing on al-Mukhtar progress across Shi'i history up to the decline of the Hilla school?

It appears that early Shi'i interest in this subject—particularly in Kufa during the second century AH—was predominantly historical, which motivated early Shi'i historians to document his life and movement. However, beginning with the intellectual schools of Qom and Baghdad (4th–5th centuries AH) and continuing especially in the Hilla school (7th–8th centuries AH), scholars increasingly approached the topic from a theological perspective, combining both transmitted and rational methods.

Through an examination of biographical dictionaries and bibliographical sources, we conclude that the study of al-Mukhtar eventually assumed a doctrinal character within Shi'i thought. This shift necessitated defending al-Mukhtar and clarifying the doubts and accusations raised against him.

Keywords:

History of Shi'i Thought; Bibliographical and Biographical Sources; Hilla School; al-Mukhtar al-Thaqafi.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

تحتّل شخصيّة المختار مكانةً مرموقةً في الفكر السياسيّ الشيعيّ الإثنا عشريّ، هـذا المحارب والسـياسيّ يعود نسـبه إلى قبيلة ثقيف العربيّة الشـهيرة، كما كان أثر كبير في أحداث النصف الأوّل من القرن الأوّل لكنّ أهميته تعود إلى أبعد من ذلك، إذ تُعـدُّ حركتـه امتـدادًا للحركات الشـيعيّة الثلاث بعد صلح الإمام الحسـن عليه السلام، صلحٌ واحدٌ أعقبه ثلاث حركات: ثورة الإمام الحسين عليه السلام، حركة التوابين، حركة المختار التي أفرزت أهم التحولات السياسية في تلك الفترة، ثمّة معلومات عديدة عـن المختار في التراث التاريخيّ الشـيعيّ وغيره رافقه جملة من الأحكام الصحيحة والجائـرة، فلـم يكن واضحًا عند الباحثين منطقه السـياسيّ، نعم ثمّة حكم سـلبيّ عليه من جانب المصادر السـنيّة التي نقلت أحداث حركته مع وجود تفاوتٍ بينها حـاوٍ على جُزئيّـات ذات دلالةٍ في التاريخ والفكر الشـيعيّ، ومـن يمتلك خبرة في الفكر الشيعيّ وفي الأسلوب والعمل السياسي للمختار هذه الشخصيّة الاستثنائيّة وقام بدراستها سيكون قادرًا على الحكم على المجال السياسيّ المحيط به.

مـا تقـدّم جزءٌ من تاريخ المختـار، والآخر مجابهته من قبل الشـيعة علماءهم لا عوامّهـم، لكـن ما طبيعة هـذه المجابه؟ يمكـن أن تكون من نواحٍ عـدّة كالمواقف السياسـيّة وتوصيـف أعـمال المختـار أو عقائده كشـيعيّ أو موقفه مـن قتلة الإمام الحسـين عليه السلام، كلّ هـذا يمكـن أن يكون مـن وجهة نظـر مذهبيّـة، أي كيف يمكن للمذهب الشيعيّ كدين أن يتفاعل مع هذه المواقف؟

انـبرى للجواب عنه من القـرن الثاني الهجريّ حتى أفول مدرسـة الحلّة وقبل حكومـة الصفويين في إيران جملة من العلـماء عن طريق تأليف آثار أظهرت تعاملًا

تاريخيًّا اتّجاه المختار من علماء شيعة العراق بالأخص الكوفة في القرنين الثاني والثالث حتى أوائل الرابع، قام مؤرخو الشيعة أو من عندهم ذوق شيعيّ بتأليفها، لكن الوضع تغيّر من أواخر القرن الرابع بتبدّل التعامل التاريخيّ مع المختار إلى مذهبيّ-عقائديّ، هذه النظرة كفرضيّة ستكون محطّ دراستنا في هذه المقالة، وتجدر الإشارة إلى تناول بحثنا الآثار المكتوبة في المختار الباقية منها والمفقودة، وهي قليلة العدد إذ تبلغ ما يقارب ستة عشر مؤلّفًا حتى نهاية العصر الصفويّ وهذا العدد يشمل الكتب المستقلّة التي ألّفت في المختار باستثناء ما دُوّن عنه ضمن كتب أخرى كالمصادر الإسلاميّة منها الطبري أو المقالات التي تناولته حديثًا فهي على عددها غير مشمولة بإحصائنا الذي يحتوي على الكتب المستقلّة فقط، كما سنردفها ببطاقة تعريفيّة عن الكتاب والمؤلّف والنسخ الخطيّة وغيرها.

أُلّفت آثار عدّة عن المختار دون أن يذكر أحدها تاريخ التأليف فيه كالمختار الثقفي مرآة العصر الأموي (١٣٨١هـ)[١] للخربوطللي، ودولة المختار الثقفيّ لصفاء أحمد الخطيب (١٤٢٧هـ.)[٢]، وشخصيّة المختار الثقفيّ عند المؤرّخين القدامى لسالم لذيذ (١٤٣٦هـ)[٣]، والمختار الثقفيّ لباسم الحلّيّ (١٤٣٨هـ)[٤] وغيرها الكثير، فقط العلامة الأمينيّ في الغدير ذكر واحدًا وعشرين أثرًا في المختار[٥]، وأشار آغا بزرك في الذريعة في مواطن عدّة خصوصًا في المجلّد الأوّل آثارًا مرتبطة بالمختار تصل إلى ستة[٦].

يضفي على هذا البحث أهميّةً دوره في مراحل إنتاج التراث في تاريخ التشيع بالإضافة إلى تسليط الضوء على ما كتب في المختار في مدرسة الحلّة لما لهذه المكتوبات من القرون الأولى حتى الوسطى من أثرٍ على معرفة تكوين الفكر الشيعيّ وبيان تطوّره؛ وعليه تنبري هذه المقالة للتعريف بهذا الميراث بالأخص في مدرسة الحلّة؛ لذا ستشتمل على ثلاثة أقسام: ما كتب في المختار في مدرسة الكوفة، قم، وبغداد، الحلّة.

المرحلة الأولى: الكوفة

تعدّ الكوفة في القرنين الأوّل والثاني من المراكز العلميّة الشيعيّة المرموقة لما قدّمه علماؤها من إرث علميّ في الحديث، الفقه، الكلام، ضاعَ بعضها، لكن ورد قسمٌ منها تذكره بعض الفهارس، لكن في مجال التاريخ كانت الكوفة أقلّ سطوعًا على الرغم من اكتنافها لعدد من المؤرخين الشيعة أو من عندهم نزعة شيعيّة ساهموا في إنتاج مدوَّناتٍ في المجال التاريخيّ[٧]، ومن هنا تأتي أهميّة الكوفة في كونها مهد الكتابة في المختار، باستثناء المؤرّخ المعروف أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الله بن أبي المدائنيّ (ت٢١٥هـ) صاحب الآثار التاريخيّة الكثيرة منها كتاب أخبار المختار[٨]، أما بقيّة مؤرخي القرنين الثاني والثالث وحتى الرابع فقد كانوا من شيعة الكوفة، من أبرزهم شيخ أصحاب الأخبار لوط بن يحيى ين سعيد بن مخنف بن سالم الأزديّ (ت١٥٧هـ) فقد كان ممّن يُسكن إلى ما يرويه، وروى عن الإمام الصادق عليه السلام وقيل عن الإمام الباقر عليه السلام ولم يصح[٩]، له كتاب أخبار المختار ذكره النجاشيّ ونقله النديم باسم كتاب المختار بن أبي عبيد[١٠]، الظاهر فقدان هذا الكتاب لكن توجد منه نسخة منسوبة لأبي مخنف تحتوي على الكثير من التصحيف والتحريف وفيه تضارب بين ما نقله وبين ما نقلته المصادر التاريخيّة، كما قام كامل سلمان الجبوريّ بتحقيق نسخة عنه بعنوان كتاب أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفيّ بتصحيح وتحقيقٍ مناسبين، ذكر في مقدّمته: « أما الكتاب الذي بأيدينا المنسوب إليه فليس له بل ولا لأحد من المؤرخين المعدمين لاشتماله على كثير من الأحاديث التي لا علم لأبي مخنف بها وإنما هي مكذوبة على الرجال، ويظهر ذلك الوضع فيها من أن لغتها غير لغة عصره ومن بعض أغلاط النحو فيها، ولو افترضنا أن أصل هذا الكتاب نفسه لأبي مخنف فالكتاب المتداول المنسوب إليه أصبح بموجب التعديلات المتأخرة التي فيها تصرف في النص زاد بمتقضى الوقت زيادة مطردة

حتى أصحبت نصوصها بعيدة عن أصل المؤلف[١١]، والجزم بأن الكتاب ليس لأبي مخنف حكم متسرع، دفع إليه الظن بمخالفته الواقع التاريخي في بعض موارده وما صاحب الكتاب من التحريف والتصحيف وهو من هفوات النساخ وكثرة تداوله وإقبال الناس على النهل من روافده عند ذكر الثورة الحسينية الخالد كل عامل وتعلق موضوع أخذ الثار من قتلة الحسين مع موضوع هذه الثورة فدخله بعض التبسيط لأسلوبه لتكون لغته سهلة قريبة من مدارك العامة، ومن يقارن النسخ المخطوطة المكتوبة منذ قرون خلت بالكتاب المطبوع والنسخ المطبوعة قديماً مع النسخ المطبوعة حديثًا يجد أن الكتاب مرّ بمرحلة من مراحل عمره المديد»[١٢]، وطبع هذا الكتاب عدّة مرّات باللغة العربيّة: طبعة حجرية سنة ١٢٨٧هـ، ملحقة بالمجلد العاشر من بحار الأنوار للعلامة المجلسي؛ طبعة حجرية في بمبي سنة ١٣١١هـ، ملحقة مع كتاب (اللهوف في قتلى الطفوف) لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني، أبو مخنف لوط بن يحيى حكاية المختار في أخذ الثار، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ٧٢ص، ١٣٤٧هـ؛ وأيضًا أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٥٣ص، ١٤٢٩هـ؛ علي بن موسى بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني له كتاب بعنوان مقتل الحسين أو اللهوف في قتلى الطفوف ويليه قصة المختار بن عبيدة الثقفي في أخذ ثار الحسين عليه السلام[١٣].

الأثر الثاني للمؤرّخ الشيعيّ نصر بن مزاحم المنقري الكوفي ٢١٢هـ[١٤] صاحب كتاب أخبار المختار الذي نقله الطوسيّ[١٥] وسمّاه ابن شهر آشوب أخبار المختار بن أبي عبيد[١٦].

المؤرّخ الثالث إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد ابن مسعود الثقفيّ (ت٢٨٣هـ) من قبيلة المختار وعمّه سعد بن مسعود والي

المدائـن في عهد أمير المؤمنـين عليه السلام ومعاوية، وكان إبراهيم زيديًّا أصبح إماميًّا على الغالـب لـه كتاب الغـارات والعديد مـن الكتـب التاريخيّة[١٧]، ولـه أيضًا كتاب أخبـار المختـار ذكره النجـاشيّ وكتاب التوابـين، كتاب قيام الإمام الحسـين عليه السلام، كتـاب مقتـل الحسـين عليه السلام[١٨]؛ المـؤرّخ الرابـع ذو النزعـة الحديثيّة أبو سـعيد بن عبيـد الله/ عبيد بن كثير العامـريّ من الأصحاب الإماميّـة، طعن الأصحاب في رواياتـه واتّهموه بوضع الحديث، نقل ابن شـهر آشـوب عنه كتابًـا بعنوان أخبار المختـار[١٩]، لا يعلم إذا كان في المختار الثقفيّ أو في غيره، وله أثار أخرى بعنوان كتـاب الفضائل، كتـاب المعرفة، الأرج، الأنوار، تفسـير غريـب الصادقين[٢٠]، ومن المستبعد كون كتابه (أخبار المختار) قد أُلّف في المختار الثقفيّ وذلك بالنظر إلى شـخصيّة أبي سـعيد ونزعته الحديثيّة وعدم وجود تأليفات في المختار في تلك الفـترة؛ المؤرّخ الخامس من مشـايخ البـصرة إماميّ المذهب عبـد العزيز بن يحيى ابن أحمد ابن عيسـى الجلـودي الأزديّ البصريّ (ت٣٣٢هـ)[٢١] دوّن الكثير من الكتـب التاريخيّة منها أخبار المختار بن أبي عبيـد الثقفيّ الذي نقله النجاشيّ[٢٢]، وأيضًـا، كتاب أخبار محمّد بن أبي الحنفيّة، أخبار عليّ بن الحسـين عليه السلام، أخبار زيد ابن عليّ عليه السلام، أخبار المهدي عجل الله فرجه الشريف[٢٣].

المرحلة الثانية: قم وبغداد

استمرّت التأليفات في المختار في فترة آل بويه بين أعوام ٣٣٢هـ و ٤٤٨هـ في ظلّ هذه الحكومة الشيعيّة التي غطّت العراق والأراضي الشرقيّة واتّخذت لنفسها عاصمتان في الريّ وبغداد، ألّفت ثلاثة آثار قبل البحث فيها نذكّر أنّ حكومة آل بويه وإن ادّعت التشيّع لكنها في الأصل نزعة زيديّة، أمّا المؤلّفات:

الأوّل: كتاب أخبار المختار بن أبي عبيد للمحدّث الإماميّ المعروف في القرن الرابع الشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ، نقله النجاشيّ[٢٤]، الملفت للنظر أنّ الشيخ الصدوق لم يكن مؤرّخًا ولم يكتب كتابًا تاريخيًّا إلّا في المختار، والأغرب أنّه لم ينقل شيئًا عن المختار في آثاره الحديثيّة إلّا خبرًا واحدًا فيه ذمّ له، هو طلبه من عمّه تسليم الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية في حربه ضدّه التي جُرح فيها وفي المقابل يأخذ حكومة العراق[٢٥]، كما يغلب على آثار الصدوق الطابع الحديثيّ، الفقهيّ، الأخلاقيّ دون التاريخيّ.

الثاني: كتاب مختصر أخبار المختار بي أبي عبيدة أو أخبار المختار لمحمّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ) المعروف بالشيخ الطوسيّ[٢٦] كما نقله في كتابه الفهرس[٢٧]، ونقل الكثير عن المختار في كتابه (الأمالي)[٢٨]، وله أيضًا كتاب (مقتل الحسين عليه السلام)[٢٩]، والشيخ الطوسيّ كالصدوق لم يكن مؤرّخًا، وكون فقيهًا محدّثًا معتبرًا ألّف في المختار.

الثالث: (أخبار المختار) لمحمّد بن الحسن بن حمزة الجعفريّ أبي يعلى خليفة أبي عبد الله بن النعمان الجالس مجلسه، المتكلّم، الفقيه، العالم بالأمرين جميعًا من متكلّمي وفقهاء القرن الخامس ناب عن الشيخ المفيد بعد وفاته[٣٠]، نقل ابن شهر آشوب[٣١] كتاب أبي يعلى الجعفري، ولم ينقله أحدٌ قبله، والجعفري عرف كمتكلّم في بغداد لكنّه ألّف في المختار، ولا يوجد شخص هكذا.

المرحلة الثالثة: مدرسة الحلّة

تكادُ تكونُ مدرسة الحلّة امتدادًا لمدرسة بغداد من الناحية العلميّة، وإن اكتسبت بمرور الوقت طابعها الخاص فقهيًّا وكلاميًّا، وكانت مدرسة الريّ بينهما، لكنّ الطابع الفكريّ الإماميّ سرى في العراق بعد بغداد إلى الحلّة[٣٢]، كما تمتّعت مدرسة الحلّة بمزايا فريدة منها: تعتبر أطول مدّة تاريخيّة لمدرسة إماميّة، نعم كانت هناك مدارس كبغداد، قم، الريّ لكن لم يدم أيّ منها طويلًا، كمدرسة الحلّة؛ كذلك جامعيّتها للعلوم فقد احتوت على الفقه، الحديث، الكلام، الفلسفة، العرفان تقريبًا؛ لذا تعدّ هذه الفترة متكاملة ونقطة انعطاف؛ وأيضًا تعتبر في النظام التعليميّ أطول سلسلة علميّة مكوّنة من أساتذة وطلاب؛ كما خلّفت إرثًا علميًّا متنوّعًا؛ كما أدّى استمرارها لأربعة قرون مع جهود علمائها إلى توسعة وتعميق الفكر الشيعيّ الإماميّ وكلّ هذا جعل مدرسة الحلّة متميزة عن غيرها.

ثمّة في هذه المدرسة أبعاد عدّة لم يسلّط عليها الضوء كفاية فقد كانت تتمتّع بغنىً في مواضيعها العلميّة منها الآثار التاريخيّة وبالخصوص في المختار، سنشير إلى خمسة منها ألّفها علماء هذه المدينة كعالم وفقيه الحلّة المعروف نجم الدين جعفر بن محمّد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي (ت٦٨٠هـ)، لم يُنقل عنه أثار خاصّة وكتابه المعروف ألّفه في المختار ونُقل بأسماءٍ متعدّدة: (أخذ الثار) [٣٣]، (أخذ الثار في أحوال المختار) [٣٤]، (شرح رسالة أخذ الثار في أحوال المختار) [٣٥]، (شرح الثار المشتمل على أحوال المختار) [٣٦]، (ذوب النضّار في أحوال المختار) [٣٧] وطُبع كتاب يحمل العنوان نفسه[٣٨]، وأورده العلامة المجلسيّ (ت١١١١هـ) في كتابه في المجلّد ٤٥ من الطبعة الجديدة[٣٩]، وفي المجلد العاشر من الطبعة القديمة، كما حقّق هذا الكتاب فارس حسّون كريم وطبعته مؤسّسة النشر الإسلاميّ في قمّ، كما ترجمه السيّد حسين حكيم الهنديّ[٤٠] ومحمّد مهدس إلهورديها إلى اللغة الفارسيّة بعنوان كتاب جواهر

ناب داستان خونخواهان كربلا[٤١]، وإلى اللغة الأورديّة السيد حسين الملقّب بغريان بعنوان سوانح الأمير مختار[٤٢].

الأثر الثاني للعلامة الحلّي (ت٧٢٦هـ) فقد نقل في خلاصة الأقوال بيانات في مدح المختار ثم قال: «وقد ذكر الكشيّ أحاديث تنافي ذلك، ذكرناها في الكتاب الكبير»[٤٣]، تشير عبارة العلامة هذه احتمالية وجود كتاب مستقلّ للعلامة جمع فيه الأحاديث والأقوال المرتبطة بالمختار تفصيليًّا.

الأثر الثالث والرابع للفقيه العالم أحمد بن محمّد بن الحداد البجلي الحلّي (حتى٧٣٣هـ) تلميذ العلامة الحلّي[٤٤] والسيّد جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن ناصر بن حمّاد الحسينيّ الغرويّ وعزّ الدين بن أبي الحديد المدائنيّ، كذلك يُعتبر ابن الحداد من مشايخ تاج الدين محمّد بن القاسم بن معيّة الحسنيّ المعروف بابن معيّة (ت٧٧٦هـ)[٤٥] وأبي عبد الله محمّد بن مكّيّ المعروف بالشهيد الأوّل (ت٧٨٦هـ)، أمّا كتابه الأوّل فكبيرٌ بعنوان صحيح الآثار في ذكر أخذ الثار والثاني المختار من حديث المختار، الأثر الأوّل مفقود والثاني موجود حقّقه وعلّق عليه باسم محمّد مال الله الأسديّ من مركز العلامة الحلّي لإحياء تراث حوزة الحلّة (١٤٣٨هـ)، قول ابن الحداد في كتابه الأوّل: «فإنّي لما جمعت كتاب «صحيح الآثار في ذكر أخذ الثار» نظره بعض الأعيان الكبار بعين التطويل والإكثار وسألني الغوص في تيّار بحره الزخار والتقاط الحسان من درره البكار بيد الانتخاب والاختصار فلبيت دعوته بلسان السرعة والبدار وألفيت عملي هذا الكتاب حسب إيثاره و الاختيار وسميته كتاب المختار من حديث المختار»[٤٦].

أمّا الأثر الخامس فهو لأحمد بن متوّج البحراني أو فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن متوّج المشهور بابن متوّج البحرانيّ، من فقهاء القرن الثامن والتاسع البارزين ومن تلامذة فخر المحقّقين ممّن كتبوا في الفقه[٤٧] كما كان شاعرًا نقل عنه الكتاب الشعريّ الثارات أو قصص الثار[٤٨].

التحليل

لحركة المختار تاريخيًّا من بين الحركات الشيعيّة التي لم ينبرِ لها الأئمّة بعدٌ استثنائيّ، ذلك لخصائص وقتها وظروف المناطق الإسلاميّة السياسيّة الحساسة، وبعد مدّةً من أحداث عاشوراء ساد الشيعةَ الهدوءُ رويدًا رويدًا، وبعد أن خفّت شدة الاحتقان بدأوا يفكرون بالانتقام، فكانت حركة التوابين ضد الأمويين التي سارت بما لا تشتهي سفن قادتها، ولم يصلوا إلى ما طمحوا، لتأتي بعدها حركة المختار التي أتت أكلُها لتفتح الباب واسعًا أمام الحكم السياسيّ الشيعيّ في غضون أقلّ من سنتين عن طريق المختار والاستفادة من الفكر الشيعيّ لشيعة الكوفة، ما أدّى إلى مواجهة وتفاوض مع أقطاب القدرة، وفي ظلّ هذه الحكومة لم يبقَ المختار فحسب، كالدعوة التي وجّهها إليه زبيريو الحجاز، بل ظهر المختار بحلّة شيعيّة، ورضخَ الكلُّ للمعطيات الجديدة لقيام حركته على الفكر الدينيّ-السياسيّ الشيعيّ[٤٩]، لكن ما تبقّى من حكومته لا يعدو عن تقارير متضاربة نقلها مؤرخو السنّة والمصادر التاريخيّة الشيعيّة، بالطبع كان للمختار خصومه في التاريخ الشيعيّ نقلوا الروايات الذامّة له، التي لا تنسجم كثيرًا مع الأطر الكلاميّة-الاعتقاديّة الشيعيّة، في ضمنها موقفه السلبيّ من الإمام الحسن عليه السلام في حربه مع معاوية[٥٠]، حبّه للخليفة الأوّل والثاني[٥١]، دخوله النار، مخالفة الإمام السّجاد عليه السلام له وعدم قبوله للأموال التي أرسلها إليه[٥٢]، محاولة الإمام السّجاد إقناع محمّد بن الحنفيّة التعاون مع المختار[٥٣]، كذبه على الإمام السجّاد عليه السلام[٥٤]، قتله لعبيد الله بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥٥]، تحقيره لعمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام (عمر الأكبر) وقتل جيش المختار له[٥٦].

استمّر التيّار المخالف للمختار حتى القرن السادس ويمكن تتبّعه في كتابات

الشيخ الصدوق، الشيخ الطوسيّ، ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ)، كما لم يكن هذا التيّار متعلّقًا بالمختار، وفي مقابل ذمّ المختار بنقلون روايات وأحداثًا في مدحه، وهنا يمكن الإشارة بالخصوص إلى الشيخ الصدوق الناقل لرواية موقف المختار السلبيّ من الإمام الحسن عليه السلام[٥٧]، والشيخ الطوسيّ في نقله لرواية محبّة المختار للشيخين[٥٨] ودخول جهنّم، كذب المختار على الإمام السجاد عليه السلام ورفض الإمام لهداياه[٥٩]، وكذا نقل ابن إدريس في المستطرفات دخول المختار جهنّم[٦٠]، كلّ هذا يشير إلى وجود تيّار مخالفٍ للمختار وإلى عدم اهتمام به.

ينقل ابن نما هذه الاختلافات شاكيًا: «وما زال السلف يتباعدون عن زيارته ويتقاعدون عن إظهار فضيلته تباعد الضب عن الماء والفراقد عن الحصباء ونسبوه إلى القول بإمامة محمد بن الحنفية ورفضوا قبره وجعلوا قربهم إلى الله هجره مع قربه وإن قبته لكل من خرج من باب مسلم بن عقيل كالنجم اللامع وعدلوا من العلم إلى التقليد ونسوا ما فعل بأعداء المقتول الشهيد وأنه جاهد في الله حق الجهاد وبلغ من رضا زين العابدين غاية المراد ورفضوا منقبته التي رقت حواشيها وتفجرت ينابيع السعادة فيها»[٦١].

هذا التغيير في الطرح جديد لم يكن معروفًا قبل ابن نما الذي سعى جاهدًا لتبرئة المختار ممّا لحق به، يقول: «اعلم أن كثيرًا من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الألفاظ ولا روية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ ولو تدبروا أقوال الأئمة عليهم السلام في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله – جل جلاله – في كتابه المبين. ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار رحمه الله دليل واضح و برهان لائح على أنه عنده من المصطفين الأخيار ولو كان على غير الطريقة المشكورة ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب ويقول فيه قولًا لا يستطاب وان دعاؤه عليه السلام له عبثًا والإمام عليه السلام منزّه عن ذلك»[٦٢].

كما يصرّح ابن نما عن أسلوبه: «وقد أسلفنا من أقوال الأئمة في مطاوي هذا

الكتـاب تكرار مدحهم له ونهيهم عـن ذمه ما فيه غنية لأولي الأبصار وبغية لذوي الاعتبـار وإنـما أعـداؤه عملوا لـه مثالـب ليباعدوه من قلـوب الشـيعة، كما عمل أعـداء أمـير المؤمنـين عليه السلام له مسـاوئ، وهلك بها كثـير ممن حاد عـن محبته، وحال عن طاعته. فالولي له عليه السلام لم تغيره الأوهام، ولا باحته تلك الأحلام، بل كشـف له عـن فضله المكنون، وعلمـه المصون، فعمل في قضية المختار ما عمل مع أبي الأئمة الأطهار»[٦٣].

نشـاهد هذا الحسّ المدافع عن المختار عند العلامة الحلّيّ الذي ينقل روايات مدحه ويُسـقط روايات ذمّه[٦٤]، والحال كذلـك عند ابن داود (ت بعد ٧٠٧هـ) فـيردّ روايـات الذمّ لعدم وجود دليلٍ عليها ويؤكّد على روايات المدح التي سـبق الإشـارة إليهـا، ويعتبر روايات الذم تشـنيعًا على المختار نسـبها إليـه العامّة[٦٥]، واسـتمرّ التيّار المحامي عن المختار إلى النصف الثاني من القرن الثامن عن طريق أحمـد بـن محمّد بن الحـداد في تبرئة المختـار بكتابيه صحيح الآثـار في ذكرى أخذ الثـار، المختـار مـن حديث المختـار جمع فيهما روايـات المدح معرضًا عـن كلّ ذمّ يرتبـط بالمختار، فقط كتابه الثاني موجود ولا يحتوي على أي شيء يخص بالمختار، واسـتمرّ الأمر هكذا في الحلّة إلى زمن الشـهيد الأوّل (ت٧٨٦هـ) الذي نقل في كتاب المزار أوّل زيارة للمختار من دون أيّ سندٍ لكنّها تنسجم تمامًا مع مضمون روايات المدح[٦٦].

بقضائـه عـلى قتلة الإمام الحسـين عليه السلام كان المختـار محطّ اهتمام الشـيعة في نهاية فترة حكمه، وهذا ما عكسته مدرسة الحلّة، يقول ابن نما: «فيا لها من منقبة حازها، ونوبة أحرزها، فقد سر النبي صلى الله عليه وآله بفعله، وإدخاله الفرح على عترته وأهله»[٦٧].

لهـذا يعتـبر كتابه عن المختـار ملحق بمثير الأحـزان، حيث يوضّـح: «فإني لما صنفت كتاب المقتل الذي سـميته مثير الأحزان ومنير سـبل الأشـجان، وجمع فيه

مـن طرائف الأخبار، ولطائف الآثار ما يربى على الجوهر والنضار، سـألني جماعة من الأصحاب أن أضيف إليه عمل الثأر، وأشرح قصة المختار»[٦٨].

كوّنـت حركة المختار معيـارًا لأحقيّته ومدّعياته، والعامـل الرئيس في نجاحه تمثّل في انتسـابه إلى قادة وأئمّة الشـيعة ممّا حدا ببقيّة الحركات إلى تكرار هذا العامل عـلى مـرّ التاريخ وإن لم يكـن بمقدورهم الانتقام من قتلة الإمام الحسـين عليه السلام، وفي الختـام اسـتمّر هذا النفس في الحلّـة وفي الفترة الصفويّة وبعدهـا بكتب تحمل هذه المضامين.

الخاتمة

المكتوبات في المختار أثرٌ يهتمّ في الأبحاث المدوّنة في المختار وفي الحقيقة يتعبر أثرًا في الفهرسـة (ببليوغرافيا) بناءً على تتبّع تراث الفهرسـة الإسـلاميّ والشـيعيّ خصوصًا، وتُظهر هذه الدراسـة أنّ تطوّر المكتوبات التاريخيّة لم يأخذ أسلوبًا معيّنًا بل اختلف أسـلوب تأليف علماء الشـيعة بمرور التاريخ حسـب الظروف الدينيّة والعقائديّـة وبالضبـط هذا ما نـراه في ما كتب في المختار بـن أبي عبيد الثقفيّ الذي نظروا إلى حركته ذات الصبغة الشيعيّة نظرة تاريخيّة في القرون الأولى كون المؤرّخون كانـوا شـيعة أو عندهم نزعة شـيعيّة، وهذا واضحٌ جدًّا عنـد مؤرّخي الكوفة كأبي مخنف، ونصبر بن مزاحم المنقريّ الكوفيّ، وإبراهيم بن الثقفيّ، عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ الأزديّ البصريّ، ليتغيّر الحال في أواخر القرن الرابع مع الشيخ الصدوق والطـوسيّ وأبي يعلى الجعفـريّ في بغداد وألّف علماء الكلام في هذه المرحلة كتبًا في المختار بطابع نقليّ وعقليٍّ بالإضافة إلى حضور النظرة التاريخيّة وكانت هذا التراث مزيج من الإيجابيات والسلبيّات، كما وصل ما كُتب في المختار عقائديًّا وكلاميًّا إلى أوجـه في الحلّة التـي حاول علماؤها جاهدين إلى تنصيع صـورة المختار الدينيّة من كلّ عيبٍ ونقصٍ ووضعه في دائرة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وكما يظهر فقد

أصبح التعامل مع مسألة المختار في أواخر القرن الرابع ذات طابعٍ دينيٍّ عقائديٍّ استمرّ كذلك في الحلّة لدرجة أنّ علماءها قد وضعوا للمختار زيارةً، ومن أبرز شخصيّات هذا الاتّجاه: ابن نما الحلّيّ، العلامة الحلّيّ، ابن حداد البجليّ الحلّيّ، فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن متوج، وإلى الآن لا تزال هذه النظرة في المختار مستمرة عند الشيعة، ويمكن لموضوع هذا البحث أن يكون أساسًا لبحثٍ آخر.

الهوامش

(١) علي حسني الخربوطلي، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ٣٦٥، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

(٢) صفاء أحمد الخطيب، دولة المختار الثقفي، دارالعلوم، بيروت،٥٩٢هـ، ١٤٢٧هـ.

(٣) والي الغزي، سالم لذيذ، شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامي، العتبة الحسينية المقدسة، ٤٩٦هـ، ١٤٣٦هـ.

(٤) باسم الحلي، المختار الثقفي في ميزان الجرح والتعديل عند الفريقين، دارالوراث، ٢٠١٧م.

(٥) الغدير٢: ٣٤٤-٣٤٥.

(٦) الذريعة ١: ٣٤٨-٣٤٩.

(٧) ر.ك: الفهرست: ١١٣-١١٧؛ تاريخ بغداد ١٢: ٥٤-٥٥.

(٨) فهرست ابن نديم: ١١٧.

(٩) الرجال: ٣٢٠.

(١٠) الفهرست: ١٠٥.

(١١) مقدمة كتاب أخبار المختار بن ابي عبيد الثقفي: ٣٠-٣١.

(١٢) المصدر نفسه: ٣٢-٣٣.

(١٣) مقتل الحسين أو اللهوف في قتلى الطفوف، ٥٦-٨٨.

(١٤) ر.ك: الرجال: ٤٢٧-٤٢٨.

(١٥) الفهرست: ٢٥٥، معالم العلماء: ١٦١.

(١٦) معالم العلماء، ١٦١.

(١٧) رجال النجاشي: ١٧-١٨.

(١٨) المصدر نفسه: ١٦-١٧. الفهرست: ٣٧ ، معالم العلماء: ٤٠.

(١٩) رجال النجاشي: ١١٧.

(٢٠) ر.ك: الرجال: ٢٣٤؛ رجال: ٢٥٥؛ معالم العلماء: ١١٧.

(٢١) ر.ك: الفهرست، ١٩١؛ رجال ابن داوود: ١٢٩-١٣٠.

(٢٢) رجال النجاشي: ٢٤٢.

(٢٣) المصدر نفسه: ٢٤٢.

(٢٤) الرجال: ٣٨٩-٣٩٢.

(٢٥) علل الشرائع١: ٢٢١.

(٢٦) معالم العلما، ١٥٠.

(٢٧) الفهرست: ٢٣٩ معالم العلماء: ١٥٠.

(٢٨) الامالي: ٢٤٥-٢٣٨.

(٢٩) الفهرست: ٢٣٩ معالم العلماء: ١٥٠.

(٣٠) الرجال: ٤٠٤.

(٣١) معالم العلماء: ١٣٦؛ الذريعة ١١: ٤١.

(٣٢) ر.ك: ريشه ها و رويش ها.

(٣٣) الذريعة ١: ٣٧.

(٣٤) إيضاح المكنون: ٤٩.

(٣٥) مرآة الكتب: ٤٣٤ ؛ الفوائد الرجالية: ٧١.
(٣٦) تعليقة أمل الآمل: ١١١ .
(٣٧) ذوب النضار: ٥٨ .
(٣٨) حقّقه فارس حسون ونشرته مؤسسة النشر الإسلاميّ سنة ١٤١٦هـ.
(٣٩) بحار الانوار٤٥: ٣٤٩ بة بعد.
(٤٠) الغدير٢: ٣٤٥.
(٤١) نشر بارسيان، طهران، ١٣٨٦ش.
(٤٢) الذريعة ١٢: ٢٥٢.
(٤٣) خلاصة الأقوال: ٢٧٦.
(٤٤) تعليقية أمل الآمل: ٩٨.
(٤٥) أمل الآمل٢: ٢٤.
(٤٦) المختار من حديث المختار: ٤٢.
(٤٧) طرائف المقال١: ٩٧ و ج٢: ٤٢٥
(٤٨) الغدير٢: ٣٤٤.
(٤٩) الارتباط بمحمد بن الحنفية، الدعوة إلى مهدي ، شعار يالثارات الحسين.
(٥٠) علل الشرائع١: ٢٢١.
(٥١) تهذيب الأحكام١: ٤٦٦-٤٦٧.
(٥٢) اختيار معرفة الرجال١: ٣٤١.
(٥٣) أنساب الأشراف ٦: ٤٥٤؛ مروج الذهب ٣: ٧٤.
(٥٤) اختيار معرفة الرجال١: ٣٤٠.
(٥٥) الهداية الكبرى: ٢١٩؛ تاريخ يعقوبي٢: ٢٦٣.
(٥٦) أخبار الطوال: ٣٠٦-٣٠٧؛ تاريخ خليفة بن خياط: ٢٠٣؛ تاريخ خليفة: ٤٠٤؛ ر.ك: أنساب الأشراف٤: ٦٠؛ العبر١: ٧٥؛ تاريخ مدينة دمشق، ٤٥: ٣٠٤.
(٥٧) علل الشرائع١: ٢٢١.
(٥٨) تهذيب الأحكام١: ٤٦٦-٤٦٧.
(٥٩) اختيار معرفة الرجال١: ٣٤١.
(٦٠) مستطرفات: ٥٦٦-٥٦٧.
(٦١) ذوب النضار: ٥٠-٥١.
(٦٢) المصدر نفسه: ١٤٥-١٤٦.
(٦٣) المصدر نفسه: ١٤٥-١٤٦.
(٦٤) خلاصة الأقوال: ٢٧٦.
(٦٥) المصدر نفسه: ٢٧٦.
(٦٦) المزار: ٢٨٣-٢٨٤.
(٦٧) ذوب النضار: ١٢٥.
(٦٨) المصدر نفسه : ٤٩-٥٠.

المصادر والمراجع

١. ابن إدريس الحلي، مستطرفات السرائر، تحقيق لجنة التحقيق، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢. الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

٣. أخبار المختار بن ابي عبيد الثقفي: أبو مخنف لوط بن يحيى، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٨م.

٤. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): الشيخ طوسي، تصحيح وتعليق مير داماد الأسترابادي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٥م.

٥. أمل الآمل: الحر العاملي، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٦. أنساب الأشراف: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

٧. إيضاح المكنون: إسماعيل باشا البغدادي، تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا، رفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، تحقيق سيد إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، ط٣، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م.

٩. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، تصحيح مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٠. تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري، تحقيق د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر.

١١. تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقيّ، تحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

١٢. تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

١٣. تعليقة أمل الآمل: ميرزا عبد الله أفندي الإصبهاني، تدوين وتحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م.

١٤. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، السيد حسن موسوي خرسان، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، ١٣٦٤ش/ ١٩٨٤م.
١٥. خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، تحقيق الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م.
١٦. دولة المختار الثقفي: صفاء أحمد الخطيب، دار العلوم، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٢م.
١٧. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقابزرك، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٣م.
١٨. ذوب النضار: ابن نما، تحقيق فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩١م.
١٩. الرجال: ابن داود، تحقيق وتقديم السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٠م.
٢٠. شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى: والي الغزي، سالم لذيذ، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م
٢١. طرائف المقال: السيد علي بروجردي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم المقدسة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨م.
٢٢. العبر: محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق فؤاد سيد، الكويت، ١٩٦١م.
٢٣. علل الشرائع: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ١٣٨٥هـ)، تحقيق بحر العلوم، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية.
٢٤. الغدير: الأميني، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٤، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٥م.
٢٥. الفهرست: محمد بن إسحاق النديم، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.
٢٦. الفوائد الرجالية: السيد مهدي بحر العلوم، تحقيق وتعليق محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ١٣٦٣ش/ ١٩٨٣م.
٢٧. الفهرست: الشيخ الطوسي، تحقيق الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م.
٢٨. فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): النجاشي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٥، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٧م.
٢٩. المختار الثقفي في ميزان الجرح والتعديل عند الفريقين: باسم الحلي، الوراث، ٢٠١٧م.

٣٠. المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: علي حسني خربوطلي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
٣١. المختار من حديث المختار: أحمد بن محمد بن الحداد البجلي الحلّي، تحقيق وتعليق باسم محمد مال الله الأسدي، مركز العلامة الحّلي، النجف الأشرف، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
٣٢. مرآة الكتب: ثقة الإسلام التبريزي، تحقيق محمد علي الحائري، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة – قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م.
٣٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، قم، دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٩٥م.
٣٤. المزار: الشهيد الأول، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدسة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩١م.
٣٥. معالم العلماء: ابن شهرآشوب.
٣٦. معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي، قم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م.
٣٧. مقتل الحسين أو اللهوف في قتلى الطفوف: علي بن موسى بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني، و يليه قصة المختار بن عبيدة الثقفي في أخذ ثار الحسين عليه السلام برواية أبي مخنف، مكتبة الداودي، قم.
٣٨. الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصيبي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٢م.

الدوريات:

محمد تقي سبحاني، ، مقاله ريشه ها و رويش ها، مجلة نقد و نظر، الدورة ١٧، العدد ٦٥ – عدد الدورة ٦٥، فروردين ١٣٩١ش/ ٢٠١٤م.